كيف يبيعنا هذا الشيخ وينادى علينا وينزلنا منزلة العبيد ويفسد محلنا من الناس ويبتذل أقدارنا ونحن ملوك الأرض ؟ وما الذى يفقد هذا الشيخ من الدنيا فيدرك ما نحن فيه ؟ إنه يفقد مالا يملك ويفقد غير الموجود ، فلا جَرَمَ لا يبالى ولا يرجع عن رأيه مادام هذا الرأى لا يمر فى منافعه ولا فى شهواته ولا فى أطماعه كالذين نراهم من علماء الدنيا . أما والله لأضربنه بسيفى هذا فما يموت رأيه وهو حى .

ثم ركب النائب فى عسكره وجاء الى دار الشيخ واستل سيفه وطرق الباب

فخرج ابنه عبد اللطيف ورأى ما رأى فانقلب الى أبيه وقال له : انج بنفسك ، إنه الموت ، وإنه السيف ، وإنه وإنه

فما اكترث الشيخ لذلك ولا جزع ولا تغير بل قال له : يا ولدى ! أبوك أقل من أن يقتل فى سبيل الله

وخرج لا يعرف الحياة ولا الموت فليس فيه الانسانى بل الالهى ؛ ونظر الى نائب السلطنة وفى يده السيف ؛ فانطلقت أشعة عينيه فى أعصاب هذه اليد فيبست ووقع السيف منها

وتناوله بروحه القوية فاضطرب الرجل وتزلزل وكأنما تكسر من أعصابه فهو يرعد ولا يستقر ولا يهدأ

وأخذ النائب يبكى ويسأل الشيخ أن يدعو له ؛ ثم قال : ياسيدى ما تصنع بنا ؟

قال الشيخ : أنادى عليكم وأبيعكم

— وفيم تصرف ثمننا ؟

— فى مصالح المسلمين

— ومن يقبضه ؟

— أنا

وكان الشرع هو الذى يقول (أنا) ، فتم للشيخ ما أراد ونادى على الأمراء واحدا واحدا واشتط فى ثمنهم لا يبيع الواحد منهم حتى يبلغ الثمن آخر ما يبلغ . وكان كل أمير قد أعد من شيعته جماعة يستامونه ليشتروه . . .

ودمغ الظلم والنفاق والطغيان والتكبر والاستطالة على الناس بهذه الكلمة التى أعلنها الشرع :

أمراء للبيع ! أمراء للبيع . . .

(طنطا) عبد الحميد العشماوى

القاهرة المعزية

ووجوب الاحتفاء بعيدها الألفى

للأستاذ محمد عبد الله عنان

— ٢ —

تقترب القاهرة المعزية من عيدها الألفى دون أن يثير ذلك فى دوائرنا الرسمية أو الأدبية كبير صدى ؛ ومن الغريب أن بعض الأجانب الوافدين الذين يكتبون عن بلادنا الفصول والملاحظات الطائرة لم يفتهم أن ينوهوا فيما يكتبونه عن القاهرة بأنها مدينة ألفية ، وأنها موطن الجامعة الألفية الوحيدة فى العالم ؛ ذلك أن هذه الحقيقة التاريخية تثير حقاً أعظم إهتمام من كل أولئك الذين يضطرمون إعجاباً بعظمة التراث الحافل ، ويحنون رؤوسهم إجلالا لروعة التاريخ

وإذا كانت القاهرة ليست هى المدينة الألفية الوحيدة بين حواضر العالم القديم ، وإذا كانت أثينة وروما والاسكندرية وقسطنطينية تشاطرها هذا الفخر وتفوقها فى مداه ، بل تشاطرها هذا الفخر حواضر إسلامية أخرى مثل بيت المقدس ، ودمشق ، وبغداد ، فإنها مع ذلك تمتاز على هذه الحواضر جميعا بأنها تمثل أروع عصور التاريخ جنبا إلى جنب ؛ فالآثار الفرعونية الباهرة التى تغيض فيما وراء القرون تشرف عليها مجللة بروعة الخلود ، وآثار العصور الاسلامية المختلفة تنبث فى جنباتها وتسبغ عليها لونا إسلاميا عميقا وتزينها بكل ما ازدانت به هذه العصور المجيدة من فن وروعة وبذخ ؛ ثم أن بشائر العصر الحديث وأمارات الحضر الناضج ، وكل ألوان الحضارة المعاصرة بما فيها من تطور وتجديد وابتكار ، تطبعها بطابعها القوى ، فهى من هذه الناحية من أجمل وأحدث العواصم القديمة ، بل هى تفوق من هذه الناحية عواصم العالم القديم : روما وأثينة وقسطنطينية ، ومع ذلك فان هذا التجدد السريع لم يجردها من جلالها القديم ، ولم يخلع عنها تلك الروعة التى يسبغها تعاقب الأحقاب على الحواضر التالدة

وفى وسع القاهرة أن تنبه على عواصم العالم القديم كلها بتراثها الأثرى والفنى الباهر ؛ ذلك أنها فضلا عما يحتويه متحفها الفرعونى الشهير من الكنوز الرائعة التى لا تضارعها أية كنوز أثرية أخرى ، تحتفظ بأعظم مجموعة من آثار العصور الوسطى يمكن أن تفخر بها مدينة عظيمة ومنها آثار المدينة الألفية القديمة التي ما زالت ماثلة إلى يومنا

والقاهرة ليست مدينة عظيمة فقط ، وإنما هى كباقى حواضر العالم القديم عنوان حضارة ومجمع تاريخ ؛ وتاريخ الأمصار العظيمة من أهم النواحى فى تاريخ الحضارات والدول ، ولاسيما فى العصور الوسطى ، حينما كانت حياة المدينة ترتبط أشد الارتباط بمصاير حضارة أو دولة معينة . وإذا كان تاريخ أثينة والمجتمع الأثينى يعنى تاريخ اليونان القديم دولة وحضارة ، وإذا كان تاريخ رومة ومجتمعاتها فى عصور الجمهورية والامبراطورية ، هو تاريخ الرومان والحضارة الرومانية ، وإذا كان تاريخ قسطنطينية فى العصور الوسطى ، هو تاريخ الدولة البيزنطية وحضارتها ، فان تاريخ القاهرة وتاريخ أسرها الملوكية ومجتمعاتها الرسمية والشعبية هو تاريخ مصر الاسلامية وتاريخ حضارتها فى العصور الوسطى

* * *

ولا ريب أن العيد الألفى لمصر من الأمصار التالدة أو منشأة من المنشآت الجليلة هو من الحوادث القومية العظيمة التى يحق للأمم أن تفخر بها وتعتز ؛ ذلك أن هذه الأعياد الألفية ليست من الاحداث العادية فى تواريخ الأمم ، بل هى بالعكس احداث فريدة نادرة ، ومثولها فى تاريخ أمة من الأمم دليل على عراقة هـذه الأمة فى ماضيها وحضارتها ودليل على ما تمتاز به من الحيوية والصفات الأزلية ؛ ومصر أمة أزلية بلا ريب ، وهى من هذه الوجهة تستطيع أن تنبه على أمم الأرض جميعا بما حباها الله به من صفات الأزلية والخلود التى ترجع بها إلى ما قبل عصور التاريخ ؛ وتتخذ الأمم العظيمة من الاشادة بهذه الذكريات والخواص الأزلية وسيلة للدعاية ، وتحيطها بأعظم مظاهر التكريم ، وتتبع فى ذلك سياسة ثابتة تقوم على تنفيذها هيئات خاصة يقظة لكل مايجد من هذه المناسبات ؛ وقد تضع هـذه الهيئات برامجها وتبدأ استعداداتها للاحتفاء بأحدى الذكريات القومية العظيمة قبل وقوعها بأعوام عديدة ، فاذا حل موعد الذكرى كانت الاحتفالات العظيمة والمهرجانات الباذخة والمظاهرات القومية الرائعة التى تحج اليها الوفود من كل صوب ، والتى تتخذ وسيلة للدعاية الواسعة فى سائر الأقطار الأخرى

ولن يمض سوى القليل حتى تواجه مصر عيدين من أجل الأعياد القومية : هما العيد الألفى لقيام القاهرة المعزية ، والعيد الألفى للجامع الأزهر ؛ فماذا فعلت دوائرنا الرسمية والعلمية للاحتفاء بهذين الحادثين العظيمين ؛ أكبر الظن أنه لم تتخذ حتى الآن أية خطة رسمية مقررة فى هذا الشأن سوى مارددته مشيخة الأزهر منذ ثلاثة أعوام فى شأن الاحتفال بعيد الأزهر ، ثم انقطع صداه بعد حين ؛ وأكبر الظن أنه سيمضى حين آخر قبل أن توضع برامج أو تقرر اعتمادات أو تتخذ أهبات فى هذا السبيل ؛ فاذا وفقت الجهات المختصة إلى اتخاذ أية خطوة عملية كان ذلك بعد فوات الوقت أو فى آخر لحظة ، وعندئذ يجىء الاحتفال خلواً من الروعة التى يجب أن تحاط بها مثل هذه المناسبات

والواقع أن ما تبقى من الوقت بيننا وبين هذين العيدين الجليلين لايكاد يكفى لاتخاذ أهبات غير عادية ؛ فليس بيننا وبين عيد القاهرة الألفى الذى يقع فى شعبان سنة ١٣٥٨ سوى ثلاثين شهراً ؛ ويقع العيد الألفى للأزهر بعد ذلك بعدة أشهر فى جمادى الأولى سنة ١٣٥٩ ؛ بيد أنه مازال ثمة متسع من الوقت يكفى للعمل الجدى المتواصل فى سبيل تنظيم الاحتفاء القومى بهذين العيدين فى نوع من الفخامة والجلال

* * *

ولقد كانت القاهرة المعزية منشأة فاطمية ، نمت وترعرعت فى كنف الدولة الفاطمية الباذخة ، وشهدت فى ظلها ألوانا ساحرة من الفخامة والبذخ والبهاء ، يقصها عليك المؤرخون المعاصرون مثل المسبحى وابن الطوير وابن المأمون ؛ وكان الأزهر غرس الدولة الفاطمية اليانع ، بل كان أينع ماغرست دولة اسلامية ، وأعظمه قدراً ، وابعده أثراً ، وأبقاه على كر

العصور ؛ ولقد قامت الخلافة الفاطمية بمصر بعد قيام القاهرة والجامع الأزهر بقليل، فى رمضان سنة ٣٦٢ هـ (يونية سنة ٩٧٣ م) حينما قدم المعز لدين الله أول الخلفاء الفاطميين بأهله وماله إلى القاهرة عاصمته الجديدة ؛ فنى أعوام قلائل يكون قد مضى ألف عام على قيام الخلافة الفاطمية بمصر ، وقد كانت هى الخلافة الاسلامية المستقلة الوحيدة التى قامت بمصر الاسلامية ، وعاشت فى ظلها أكثر من قرنين

أفلا يجمل أيضا أن نحتفى بذكرى الخلافة الفاطمية منشئة القاهرة والجامع الأزهر لمناسبة مرور ألف عام على قيامها بمصر ؟

إن ذكرى الخلافة الفاطمية ترتبط أشد الارتباط بذكرى القاهرة والأزهر حتى إنه ليصعب أن نحتفى بعيديهما دون أن تشغل ذكرى الخلافة الفاطمية مكانتها فى هذين العيدين ؛ ولن يكون للإشارة بهذه الذكرى سوى معناها التاريخى الجليل ، ولن تحيط بها أى اعتبارات دينية أو مذهبية ؛ ونذكر للتنويه بهذا المعنى التاريخي الجليل ، أن اسبانيا النصرانية لم تر بأساً من الاحتفاء بذكرى الخلافة الاسلامية ؛ فنى سنة ١٩٢٩ احتفلت جامعة قرطبة بذكرى الخلافة الاسلامية لمناسبة مرور ألف عام على قيامها بقرطبة ؛ وقد كان قيام الخلافة الاسلامية فى قرطبة كما نعرف سنة ٣١٧ هـ الموافقة لسنة ٩٢٩ ميلادية ، وكان أول خلفاء الأندلس من بنى أمية عبد الرحمن الناصر ، وهذه الذكرى التاريخية الجليلة هى التى احتفلت بها جامعة قرطبة فى سنة ١٩٢٩ ، وكان لتصرفها أجمل وقع فى العالم الاسلامى

ولقد جرت مصر الفتية الناهضة على انتهاز كل الفرص والمناسبات العلمية والاجتماعية الدولية والاشتراك فيها ، والاعلان عن نفسها بأحسن ما تعلن أمة حديثة ناهضة ؛ وهى تلبى كل عام عشرات الدعوات لشهود المؤتمرات والمعارض الدولية المختلفة والمهرجانات العلمية ولا تبخل فى ذلك السبيل بالانفاق لأنها تقدر كل ما تجنيه من الفوائد المعنوية والمادية من الاشتراك فى تلك الاجتماعات الدولية الكبيرة ؛ وقد كانت آخر مناسبة من هذا النوع اشتراكها فى معرض باريس الدولى، وهو اشتراك اقتضت نفقاته الرسمية منها زهاء عشرين الف جنيه ؛ فهل تبخل مصر بأن ترصد مثل هذا المبلغ بل أن ترصد اضعافه للاحتفال بعيد القاهرة وعيد أزهرها الألفى ؟

ان اقامة مهرجان ألفى لمدينة القاهرة تحج اليه وفود الأمم من أنحاء الشرق والغرب يكون أعظم دعاية لمصر التالدة ومصر الفتية الحديثة معا ، وأعظم وسيلة للتعريف عن ماضيها الباهر وعظمتها السالفة ؛ وأن اقامة مهرجان ألفى للجامع الأزهر تشترك فيه وفود الجامعات والهيئات العلمية من جميع الأمم يكون مظاهرة اسلامية علمية رائعة للاعلان عن الدور العظيم الذى أدته الجامعة الألفية فى تكوين التفكير الاسلامى لا فى مصر فقط ولكن فى العالم الاسلامى كله ، وعن الصرح العلمي العظيم الذى كان الازهر قوامه والذى لبث ملاذ التفكير الاسلامى والآداب العربية قرونا مديدة ولا سيما فى عصور الاستعباد والانحلال الفكرى والاجتماعى

تلك دعوتنا المتواضعة نرسلها للمرة الثانية راجين أن تجد صدى قويا فى دوائرنا الرسمية والعلمية ، فتعمل على تحقيق هذه الأمنية القومية الكبرى بكل ما يجب لها من روعة وجلال

محمد عبد الله عنان

لجنة التأليف والترجمة والنشر

أعادت اللجنة طبع الجزء الأول من كتاب

أصول التربية

للأستاذ أمين مرسى قنديل

وكيل معهد التربية

للمرة الرابعة

وهذه الطبعة مزيدة وموسعة

وعدد صفحات الجزء المذكور ٣٧٦

وثمنه عشرون قرشا عدا أجرة البريد

ويطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر بدارها رقم ٩ شارع الكرداسى بعابدين بالقاهرة ومن المكاتب الشهيرة